

في نور محمد فاطمة الزهراء

المغرّد عن الطمأنينة والقرار. كلّ اضطرابه لهذا الذي تكذّب في دخيلة جوفها كانت بشيراً بانحسار من الأشجان، وكلّ انتفاضة له ترفّ بين جنبها كجناحي عصفور كانت تحوّل الساكن إلى مهموس، والمهموس إلى مسموع، والمسموع إلى مشهور يغمر محيطها بالغبطة والسعادة، ويجري على شفيتها إشراقات بسّامة، فيها دواء حنان الأم، وفيها خفر البتول العذراء. وكلّ حركة تبدر من الجنين المكنون كانت وثية يطررها طفراً على طريق الرجاء، وسطراً معبراً أنيقاً في صحيفة الوجود. كأُنثى راحت تجتاز من حياتها مرحلةً جديدةً، كان فكر الزهراء موزّعاً بين طمأنينة يومها المائل وبين رقبة الغد القابل، بين الحلم المأمول وبين الخوف الآمل وكأُم عربية، أما ودّت لو تمخّضت عن غلام؟ فتلك رغبة حبيبة إلى جميع الأبيكار، إلى كلّ مثيلاتها الواقفات على عتبة الأمومة وإن تفاوتت بهنّ الأصول... فالعجب لهنّ وهنّ الإناث أن يؤثرن الذكران! لكنّها طبيعة في النساء اطّرادها قانون! على أنّ رغبة فاطمة في إنجاب وليد ذكر كانت تنبعث، أكثر انبعاثها، من حبّها لأبيها، وشوقها الظامئ إلى أن تقرّ عينه بغلام هو الذي وهبت له البنات وحرّم البنين. أفيمنّ عليها؟ أيسعدها، ويسعد نبيّه فتنسل فتىً تتكرّر فيه سيرة رسول الله، وتتعاقب من خلاله صورته الطاهرة؟ لئن تحقّق حلمها هذا فمنّة من الكريم المنان، ولئن رُزقت أنثىً فحمداء له سبحانه: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يُهَبِّبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئَاءً وَيَهَبُّ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) [1155]. * * *